

تراجع فرص إعادة تأهيل النظام



ترجمات

10 يناير 2022

تراجع فرص إعادة تأهيل النظام



نشرت مؤسسة (Observer Research Foundation)، التابعة للحكومة الهندية (23 ديسمبر 2023)، ورقة بعنوان (Slow Return Of Syria Into Mainstream West Asian Politics)، تناولت الجهود التي تبذلها بعض الدول الخليجية لتعويم النظام السوري ومحاولات إعادته لمنظومة دول الشرق الأوسط (غرب آسيا)، معتبرةً أن حظوظ دمشق تبدو قائمة في الوقت الحالي.

ولاحظت الورقة تركيز اجتماع "منظمة التعاون الإسلامي" في إسلام آباد على الأزمة الأفغانية بحضور وفد من حركة طالبان خلال شهر ديسمبر الماضي، مقابل التغافل عن تسيير شركة "أجنحة الشام" رحلات مباشرة بين دمشق وكراتشي، رغم خضوعها للعقوبات الدولية، معتبرةً أن هذا الحدث يحمل في ثناياه عدداً من المؤشرات الجيوسياسية، وعلى رأسها ذوبان الجليد بين باكستان وكل من دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية بعد أشهر من التوتر، وانخراط باكستان في الجهود التي تبذلها أبو ظبي للتطبيع مع نظام دمشق ومحاولاتها اليائسة لإخراجه من عزلته.

وعلى الرغم من أن استعادة حركة التجارة والمواصلات مع النظام السوري تعتبر قريبة العهد، إلا أن دولاً عربية، مثل عُمان، قد بدأت مسيرة التطبيع منذ عدة سنوات، وذلك ضمن سياسة تتبناها مسقط لتعزيز دورها المتنامي كلاعب محايد ووسيط إقليمي في الجغرافيا السياسية المعقدة، حتى ولو تطلب ذلك إقامة علاقات مع نظام متهم باقتراح جرائم حرب، وانتهاكات لحقوق الإنسان، واستخدامه الأسلحة الكيماوية ضد المدنيين.

واستعرضت الورقة إجراءات التطبيع التي اتخذتها بعض الدول العربية، بدءاً من إعادة الإمارات والبحرين فتح سفارتيهما في دمشق عام 2018، واللقاءات التي قيل إنها جمعت مسؤولين سعوديين مع شخصيات من النظام في مايو 2021، وانتهاءً بزيارة وزير الخارجية الإماراتي إلى دمشق (نوفمبر 2021)، وسط انتقادات دولية.

وأرجعت الدراسة جهود التقارب إلى محاولات تهدئة الصراعات الإقليمية الدائرة، وإلى تقاطع المصالح بين دول الخليج وإسرائيل وإيران، ففي غضون الأشهر الماضية سارت العديد من الدول العربية خلف أبوظبي لتطبيع العلاقات مع تل أبيب، رغبة منها في تحقيق الاستقرار السياسي وطمعاً في بعض المكاسب الاقتصادية، فيما أجرت الرياض محادثات مع إيران، عن طريق العراق والأردن، في محاولة فاشلة لتهدئة التوترات القائمة، وعلى رأسها الحرب الدائرة في اليمن.

وحاز الملف السوري على اهتمام كبير في تلك الأثناء، حيث تستضيف سوريا عدداً من الميليشيات التي تعمل بالوكالة لصالح إيران، وكذلك روسيا التي تستخدم الأراضي السورية لتنفيذ إستراتيجيتها الجيوسياسية الموسعة، فيما كانت الهند ضمن الدول القليلة التي حافظت على وجود دبلوماسي مستمر في دمشق، وعارضت مواقف الدول الغربية إزاء إسقاط الأنظمة في ليبيا وسوريا.

وعلى الرغم من العزلة التي عانت منها سوريا؛ إلا نيودلهي آثرت الاستمرار في إقامة اتصالات دبلوماسية منتظمة، مع "الراحل" وليد المعلم، الذي زار الهند عام 2016، كما قام وزير الدولة الهندي للشؤون الخارجية آنذاك، إم جي أكبر، بزيارة دمشق في العام نفسه، وأرسلت الهند لقاحات ومساعدات لسوريا خلال تفشي جائحة كورونا، بتوجيه من "منظمة الصحة العالمية"، وسيرت دمشق في شهر يونيو 2020 رحلة جوية واحدة إلى نيودلهي للمساعدة في إجلاء الهنود الذين تقطعت بهم السبل في البلاد.

إلا أن تلك الجهود تبدو محدودة للغاية، في رأي الورقة التي اعتبرت أن محاولات إعادة دمج النظام في منظومة دول غرب آسيا ليست بتلك السهلة، حيث يتوقع من دمشق التخلص من الوضع الذي أصبحت بموجبه الأراضي السورية مرتعاً للميليشيات الأجنبية، وملعباً للصراع الإيراني-الإسرائيلي، وأن تخفف من سيطرة موسكو على قرارها، وهي أمور متعذرة في الوقت الحالي، نظراً لأن بقاء الأسد يرتهن ببقاء نفوذ كل من طهران وموسكو.

وفي ظل استياء واشنطن من دبلوماسية أبو ظبي إزاء دمشق، لا يلوح تخفيف العقوبات عن النظام في الأفق، ولا يبدو أن الطريق نحو عودة الحياة الطبيعية في سوريا سالك في الوقت الحالي.

وفي دراسة رديفة نشرها موقع "فورين بوليسي" في منتصف شهر ديسمبر الماضي بعنوان: "عودة غير محتملة لبشار الأسد"، استبعدت الباحثة بينيت شيلر، إمكانية نجاح الجهود العربية في إعادة تعويم النظام الذي ارتكب جرائم موثقة ومؤكدة ضد الإنسانية، مؤكدة أن الخطأ الدبلوماسي الذي أمّنته روسيا والصين للأسد في مجلس الأمن الدولي، والدعم العسكري الهائل الذي قدمته له كل من روسيا وإيران، قد فشل في خدمة جهود التقارب مع النظام حتى الآن.

ولإطالة أمد بقائه في الحكم يمارس بشار الأسد "لعبة الانتظار"، وذلك في مناورة يائسة يحاول من خلالها أن يثبت أنه "أهون الشرور" في سوريا، حيث يركز على الفظائع التي يرتكبها تنظيم "داعش" لإقناع الفاعلين الدوليين بأنه الجهة العقلانية الوحيدة التي يمكن أن تنخرط في حوار إستراتيجي مع الغرب، ويؤثر الانتظار حتى تهدأ موجة الانتقادات ضده، أملاً أن يدرك المجتمع الدولي أنه لا يمكن تحقيق الانتقال السياسي إلا بالتعاون مع نظامه.

إلا أن الأسد يمارس لعبة خطيرة وغير مضمونة، خاصة وأن الاستمرار في التلاعب بمصائر الملايين من اللاجئين السوريين أصبح أمراً متعذراً، في حين يسهم رفضه التعاون مع الجهود الأممية في تعميق عزلته، وتراجع فرضية جدوى التعاون مع النظام الذي لم يقدم أي مبرر لاعتبار أن الدبلوماسية وحدها قادرة على تغيير سلوكه، إذ إنه لم يبد أية بادرة تدل على استعداد له لتقديم تنازلات في سبيل تحقيق السلام.

وتمثل قضية أكثر من 100 ألف مختف قسرياً مسألة ملحة، خاصة وأن النظام قد رد على الضغوط الروسية للكشف عن مصيرهم من خلال إصدار بضع مئات من شهادات الوفاة، ومن غير المتوقع أن يتمكن من الاستمرار في استخدام المساعدات كسلاح ضد المدنيين، إذ بات من الواضح أن أية دبلوماسية تكيف نفسها مع تعنت الأسد ما هي إلا رخصة له ليمارس مزيداً من الانتهاكات، ولن يكون هنالك أي مبرر عملي أو أخلاقي لدى الدول التي تتهافت على التقارب معه.

وعلى الرغم من الآمال الخائبة -لدى الدول المطبعة- بإمكانية خلق موجة تطبيع يمكن أن تفضي لتدفق أموال الدول الغربية لإعادة إعمار سوريا؛ إلا أن أوروبا لا تزال ملتزمة بعدم تمويل عملية إعادة الإعمار إلا بعد ظهور بوادر انتقال سياسي جدي وحقيقي، ولذلك فإن جميع الحكومات المطبعة لا تزال تمتنع عن استثمار أموالها في سوريا رغم الهالة الإعلامية الزائفة للتطبيع.

ورأت الدراسة أن الدول التي تحاول إصلاح علاقاتها مع الأسد تحكمها أنظمة استبدادية، وهذا ما يجعلها تتعاطف بشكل طبيعي مع: "ديكتاتورية زميلة في مواجهة مع ثورة شعبية، ولأنها دول استبدادية، فهي الأقدر على فهم شخصية النظام، وهنا تكمن المفارقة، لأن هذا ما يجعلها ترفض إقامة أية استثمارات فعلية في سوريا، وذلك على الرغم من أن بشار الأسد قد أضاف فصلاً جديداً لكتاب: "دليل البقاء للحكام المستبدين"، عنوانه: "كيف تفلت من كل شيء حرفياً"، حيث تترسخ ثقافة الإفلات من العقاب في معظم الجرائم الهمجية التي ارتكبتها العديد من تلك الدول غير آبهة بإمكانية محاسبتها على تلك الانتهاكات".

أما بالنسبة للدول الديمقراطية التي يهملها أن يقوم النظام العالمي على أساس القوانين والقواعد الدولية، فإنه ليس من الواقعية أو البراغماتية في شيء توقع التغيير من نظام لم يسجل أية سابقة للاستجابة أو تقديم أية تنازلات.

وفي دراسة، نُشرت مطلع شهر يناير الجاري، بعنوان: "الكلفة البشرية للتطبيع مع الأسد كبيرة"، استعرضت مجلة "فورين بوليسي" معاناة اللاجئين السوريين في لبنان، والتميز الذي تمارسه السلطات اللبنانية، بصورة خاصة، ضدهم، مؤكدة أن الوضع في سوريا أصعب من ذلك بكثير، وأن اللاجئين السوريين يؤثرون مقاساة الأوضاع المزرية في لبنان على العودة إلى سوريا.

وذكرت الدراسة بأن تسعاً من أصل كل عشر عائلات لاجئة سورية بلبنان تعيش في فقر مدقع، ونصف تلك العائلات تقريباً محرومة من الأمن الغذائي، بحسب ما أوردته الأمم المتحدة، فيما تبلغ نسب الوفيات بكوفيد 19 بين اللاجئين السوريين أربعة أضعاف الوفيات من عامة الشعب اللبناني، وذلك بسبب صعوبة حصول اللاجئين على الرعاية الطبية، وقد أصبح اللاجئون ضحية لجرائم الكراهية حيث أحرقت مخيماتهم عمداً، وتؤكد مصادر الأمم المتحدة أن 57% من الأسر السورية اللاجئة في لبنان تقاسي ظروفاً "خطيرة أو دون المستوى أو تعيش حالة ازدحام شديد".

وفي تحقيق استقصائي أجرته الأمم المتحدة، تبين بأن 70% من السوريين بلبنان قد عبّروا عن رغبتهم في العودة إلى بلادهم في المستقبل، إلا أن 9 من بين كل عشرة منهم ذكروا بأنهم لا يخططون للعودة خلال السنة المقبلة، حتى ولو لم يكن بمقدورهم تأمين المتطلبات الأساسية في الدول المضيفة. وبصرف النظر عن مدى سوء الظروف التي يعيشونها، فقد اعتبر معظم اللاجئين بأن الظروف في بلادهم هي التي ستحدد رأيهم بالنسبة لفكرة العودة.

ويبدو أن توفير البيئة الآمنة لعودة ملايين اللاجئين هو أمر غير وارد مع بقاء الأسد في السلطة، إذ إن نظامه لا يبدو مستعداً لتهيئة ظروف عودة اللاجئين بشكل آمن وبصورة طوعية، كما تنص قرارات الأمم المتحدة.

Strategy
W A T C H



المركز
الإستراتيجي

ترجمات

توفير خدمات الترجمة ونشر التقارير والأبحاث ذات الأهمية السياسية والعسكرية في الشأنين السوري والخليجي.

10 يناير 2022

المركز الإستراتيجي

بيت خبرة رائد في تقديم الخدمات المتخصصة للعاملين في المجالات السياسية والأمنية بالمنطقة العربية.

يعمل على تعزيز المفاهيم الاحترافية لدى الجيل الجديد من العاملين في الشؤون السياسية والأمنية في العالم العربي، ورفد صناع القرار بمعلومات نوعية بجودة عالية ومهنية تستند إلى الموضوعية والحياد والاستقلالية، بعيداً عن مؤثرات الإيديولوجيا الطارئة ومعارك الاستقطاب الإقليمي.

www.strategy-watch.com